



الدرس العاشر

من الأعمال الصالحة
في رمضان

عناصر الدرس:

- ١ - رمضان مزرعة العباد، وموسم الحصاد،
وفرة للتزود لدار المعاد.
- ٢ - صيام النهار وقيام الليل.
- ٣ - الإكثار من قراءة القرآن وذكر الله والإنفاق
والاعتماد وغير ذلك.
- ٤ - على الصائم أن يحفظ جوارحه ويحافظ
على صيامه.



الدّرس العاشر

من الأعمال الصالحة في رمضان

رَمَضَانُ مَزْرَعَةُ الْعِبَادِ، وموسم الحصاد، وفرصة للتزوّد لدار المعاد:

لَقَدْ أَظَلَّنَا شَهْرُ مُبَارَكٍ كَرِيمٍ، وَمَوْسِمٌ لِلطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ عَظِيمٍ، أَعْمَالُهُ جَلِيلَةٌ، وَأَفْضَالُهُ جَزِيلَةٌ، صِيَامُهُ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَقِيَامُهُ مَزِيدُ فَضْلٍ وَإِنْعَامٍ، إِنَّهُ شَهْرُ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِهِ، وَيُهَنِّئُهُمْ بِوُصُولِهِ، وَيَحْتُمُّهُمْ عَلَى صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ، وَاغْتِنَامِ سَاعَاتِهِ وَأَيَّامِهِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرُ مُبَارَكٍ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حَرَّمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حَرَّمَ» [رواه أحمد والنسائي].

فينبغي لكل مسلم أن يستقبله تائبًا صادقًا، ويعمل فيه مخلصًا مُسَابِقًا.

أَتَى رَمَضَانُ مَزْرَعَةَ الْعِبَادِ	لِتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ مِنَ الْفَسَادِ
فَأَدَّ حَقُّهُ قَوْلًا وَفِعْلًا	وَزَادَكَ فَاتَّخِذْهُ لِلْمَعَادِ
فَمَنْ زَرَعَ الْحُبُوبَ وَمَا سَقَاهَا	تَأَوَّهَ نَادِمًا يَوْمَ الْحَصَادِ

صيام النهار وقيام الليل:

إِنَّ هَذَا الزَّمَانَ فُرْصَةٌ لِأُولِي الْهَمِّ الْعَالِيَةِ، وَالنُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ الْعَالِيَةِ، فَهُوَ مَيْدَانٌ فَسِيحٌ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَاضْرِبْ بِسَهْمِكَ فِي التَّجَارَةِ الرَّابِحَةِ، فَبَيْنَ يَدَيْكَ صِيَامُ النَّهَارِ؛ يَغْفِرُ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الذُّنُوبَ وَيَرْفَعُ الْأَصَارَ، وَيُعْلِي الدَّرَجَاتِ

ويكفر السيئات، فلا يعلم مقدار ثواب الصيام إلا الله جل في علاه؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ» [رواه البخاري ومسلم واللفظ له].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [رواه البخاري ومسلم]؛ أَي مَنْ صَامَهُ مُؤْمِنًا بَوُجُوبِهِ وَفَرَضِيَّتِهِ، طَالِبًا ثَوَابَ اللَّهِ بِنِيَّتِهِ، غَيْرَ مُسْتَقْبِلٍ لَصِيَامِهِ، وَلَا مُسْتَطِيلٍ لِأَيَّامِهِ.

ومن أجل الأعمال قربة وأعظمها طاعة: صلاة التراويح، وهي من قيام الليل الذي أثنى الله عز وجل على أهله، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الْآلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات]. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [متفق عليه].

الإكثار من قراءة القرآن وذكر الله والإنفاق والاعتماد وغير ذلك:

وَعَنَّا إِمَّ الْمَوْسِمِ وَمَنَافِعُهُ كَثِيرَةٌ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَمَنْ فِطَّرَ صَائِمًا نَالَ مِثْلَ أَجْرِهِ، فليكثر الإنسان من الصدقة والإنفاق في وجوه الخير والإحسان، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ فِطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا» [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه].



وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [أَيَّ مَنْ أَنْفَقَ شَيْئَيْنِ مِنْ صِنْفٍ مِنَ الْمَالِ كَفَرَسَيْنِ أَوْ بَعِيرَيْنِ وَنَحْوَهُمَا] نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» [رواه البخاري ومسلم].

ومن الأعمال الصالحة التي ينبغي للمؤمن أن يغتنمها في شهر رمضان: العمرة؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَجَّتِهِ قَالَ لِأُمِّ سِنَانِ الْأَنْصَارِيَّةِ: «مَا مَنَعَكَ مِنَ الْحَجِّ؟» قَالَتْ: أَبُو فَلَانٍ - تَعْنِي زَوْجَهَا - كَانَ لَهُ نَاضِحَانِ، حَجَّ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَالْآخَرُ يَسْقِي أَرْضًا لَنَا، قَالَ: «فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً - أَوْ حِجَّةً مَعِي -» [رواه البخاري ومسلم].

وَمِمَّا يَنْبَغِي اغْتِنَامُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ فِي مَوْسَمِ النَّفَحَاتِ: الْإِكْتِثَارُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، مَعَ التَّرْتِيلِ وَالتَّدْبِيرِ فِي آيَاتِ الرَّحْمَنِ، فَفِي كُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بَعْشَرُ أَمْثَالِهَا، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَالْمَاهِرُ فِيهِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْأَطْهَارِ، وَمَنْ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ، وَكَفَاهُ فَضْلًا عَلَى صَاحِبِهِ أَنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لَهُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّيَامُ: أَيُّ رَبِّ! مَنْعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ فِي النَّهَارِ، فَشَفَّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنْعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفَّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ» [رواه أحمدٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

على الصائم أن يحفظ جوارحه ويحافظ على صيامه:

إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ فُرْصَةٌ عَظِيمَةٌ لِلتَّغْيِيرِ، مِنَ السَّيِّئِ إِلَى الْحَسَنِ، وَمِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَمِنَ الْفُرْقَةِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْتِّشَاحِنِ؛ إِلَى الْإِتِّحَادِ وَالْمَحَبَّةِ وَالتَّعَاوُنِ؛ وَمِنَ الْكَذِبِ إِلَى الصِّدْقِ، وَمِنَ أَكْلِ الْحَرَامِ إِلَى الْإِسْتِغْنَاءِ بِالْحَلَالِ، وَمِنَ الْخِيَانَةِ إِلَى الْأَمَانَةِ، وَمِنَ التَّقَاعُسِ وَالتَّسْوِيفِ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ.

فَكَمَا أَنَّ الصَّائِمَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَى شَهْوَتِهِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَغَيْرِهِمَا؛ فَهُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ عَادَاتٍ سَيِّئَةٍ، وَأَخْلَاقٍ غَيْرِ مَرْضِيَّةٍ. وَهَذَا التَّغْيِيرُ يَبْدَأُ مِنْ نَفْسِ الْإِنْسَانِ وَأَعْمَاقِ قَلْبِهِ، قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ مِنْ جَوَارِحِهِ وَبَدَنِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وَأِنَّهُ لَجَدِيرٌ بِالصَّائِمِ أَنْ يُغَيِّرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ رَمَضَانَ، فَيَصُونَ لِسَانَهُ، وَيَحْفَظَ جَوَارِحَهُ؛ عَنِ السَّبِّ وَالشَّتْمِ، وَسُرْعَةِ الْغَضَبِ وَسَائِرِ مَا يَعْصِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْإِثْمِ.

فَتَقْوَى اللَّهِ بِسَلَامَةِ الْقَلْبِ وَعِفَّةِ اللِّسَانِ، وَصَوْنِ الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ: مِنْ أَكْثَرِ غَايَاتِ الصَّيَامِ، وَمَنْ لَمْ يَفْقَهُ ذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ حَقِيقَتَهُ.



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ [أَيِ السَّفَاهَةَ]، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» [رواه البخاري].

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «لَيْسَ الصَّيَّامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا الصَّيَّامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَكَ أَحَدٌ أَوْ جَهِلَ عَلَيْكَ فَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ» [رواه ابن حزيمة والحاكم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

فَاحْذَرِ - يَا عَبْدَ اللَّهِ - أَنْ تَصُومَ عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ، وَتُفْطِرَ عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ! فَرُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا التَّعَبُ وَالسَّهَرُ؛ قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصْرُكَ وَلِسَانُكَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ أَذَى الْجَارِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صَوْمِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ صَوْمِكَ وَيَوْمَ فِطْرِكَ سَوَاءً». وَصَدَقَ مَنْ قَالَ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مِنِّي تَصَائِمٌ
وَفِي بَصْرِي غَضٌّ وَفِي مَنْطِقِي صَمْتُ
فَحَظِّي إِذَا مِنْ صَوْمِي الْجُوعُ وَالظَّمَا
وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي صُمْتُ يَوْمًا فَمَا صُمْتُ